الله تعالى وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون
وكان يقال ما أنكرت من زمانك إنما أفسده عليك عملك.
وقال عبد الملك بن مروان أنصفونا يا معشر الرعية
تريدون منا سيرة أبي بكر وعمر ولا تسيرون فينا ولا في
أنفسكم بسيرتهما نسأل الله أن يعين كلا على كل
حال. وقالت حكماء قالت بنو إسرائيل إلهنا أنت
في السماء ونحن في الأرض فكيف نعرف رضاك من
سخطك فأوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائهم إذا
استعملت عليكم خياركم فقد رضيت عنكم
وإذا استعملت عليكم شراركم فقد سخطت
عليكم. وقال عبيدة السلماني لعلي بن أبي طالب
رضي الله عنه يا أمير المؤمنين ما بال أبي بكر وعمر
انطاع الناس لهما والدنيا عليهما أضيق من شبر
فاتسعت عليهما ووليت أنت وعثمان الخلافة فلم
ينطاعوا لكما فصارت عليكما أضيق من شبر فقال
لأن رعية أبي بكر وعمر كانوا مثلي ومثل عثمان ورعيتي
أنا اليوم مثلك وشبهك. وكتب أخ لمحمد بن
يوسف كتابا يجور العمال فكتب إليه بلغني كتابك
تذكر ما أنتم فيه وليس ينبغي لمن يعمل بالمعصية
أن ينكر العقوبة وما أرى ما أنتم فيه إلا من شؤم الذنوب
والسلام

الباب الثاني والأربعون
في بيان الأمور التي تصلح بها الرعية

اعلم أيها الملك أن أدعى خصال السلطان إلى إصلاح
الرعية وأقواها انتزاع نفوسهم بأدب لهم
وحفظهم لمروءاتهم إصلاح السلطان نفسه
وتنزيهها عن سخفاء الأخلاق وبعده عن مواضع
الريب

الريب وتنزيهه نفسه عن استهواء أهل
البطالة والمجون واللهو والإعلان بالفسوق وقد
كانت محبة الأمين محمد ذلك الرجل الخليع الماجن
أبي نواس الشاعر وصمة عظيمة عليه أدهى عليه سلطانه
ووضع عنه الخاص والعام قدره والحق السمعة الشنعاء
لأنه الفضيح فخلعه لذلك أخوه المأمون عن الولاية
ووجه طاهر بن الحسين لمحاربته ببغداد حتى
قتله وبعث رأسه إلى المأمون وكان يفعل كتبا وتقرأ
في المنابر من خراسان ويعيب الرجل فيغري أهل العراق
فيقول أهل فسوق وخمور ويعيب الأمين بذلك فيقول
استصحب أبا نواس رجلا شاعرا ماجنا كافرا استخلصه
معه لشرب الخمور وارتكاب المآثم وهو الذي يقول
ألا فاسقني خمرا وقل لي هي الخمر ولا تسقني سرا إذا أمكن الجهر
وبح باسم من تهوى ودعني من الكنى فلا خير في اللذات من دونها ستر
حتى تغيرت عليه نفوس الناس وتنكرت وجوه الورى
فلما بلغ الأمين ذلك حبسه ثم أطلقه بعد أن أخذ عليه أن
لا يشرب خمرا ولا يقول فيها شعرا فمتى أراد إصلاح
السلطان رعيته وهو مقيم على ضد ذلك كان كمن
أراد تعديل الجسد مع فقد رأسه وأراد استقامة الظل
مع اعوجاج الشخص وكيف يجلو السيوف مع فساد الحديد
ولقد أصاب الخليل في قوله أصلح نفسك لنفسك يكن
الناس تبعا لك وقد بقي مقبل من أصلح نفسه رغم
أنف أعاديه ومن أعمل جده بلغ كنه أمانيه وقد قال بعض
الحكماء ثم يتبع الإنسان من عدوه فقال بإصلاح نفسه
ولابن أبي الحسين رحمه الله
إذا غدا ملك باللهو مشتغلا فاحكم على ملكه بالويل والحرب